الفصل الثانى

الواقع السّياسى للعالم الإسلامى

● **تمهيد:**

استبشر المسلمون فى أواسط هذا القرن بتحرير بلادهم من الاستعمار العسكرى الأجنبى، وزادت بشراهم أن أحسوا فترة أنهم – وبخاصة فى المنطقة العربية – صاروا يشكلون ثقلا دوليا بالغ البعض إذ اعتبره القوة السادسة الدولية بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى والصين واليابان وأوربا.

ونسى الكثيرون حادثا أليما وقع فى مطلع هذا القرن، حيكت من أجله المؤامرات الدولية، وانعقد فى سبيله الكثير من المؤتمرات السياسية العالمية، نسوا حادث إلغاء الخلافة الإسلامية، التى وإن بدت ضعيفة فى أواخر أيامها لكنها كانت تجمع شمل المسلمين وترهب عدو الله وعدوهم.

كذلك لم يفطن الكثيرون إلى أن الاستعمار العسكرى حين رحل عن بلاد المسلمين لم يتركها بغير نفوذ، بل إنه خلف وراءه من كانوا أشد منه على الشعوب ظلما وعتوا، وإن تخفوا وراء شعارات وأردية وأقنعة أخفت حائقهم عن الشعوب ولا تزال، وأخيراً فقد بعدت الأنظمة الحاكمة عن جوهر النظام السياسى الإسلامى كما أراده رب العالمين فى كتابه وسنة رسوله، معلنين ذلك صراحة، أو مخفين ذلك وراء شعارات الإيمان والإسلام ليتأكد فيهم قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة: ٨، ٩].

فهذه أمور ثلاثة نتناولها فى حديثنا عن واقع العالم الإسلامى السياسى إن شاء الله:

أولاً: غيبة الخلافة الإسلامية.

ثانياً: الاستعمار الجديد.

ثالثًا: مدى البعد عن جوهر النظام السياسى الإسلامى.

١ - غيبة الخلافة الإسلامية

● **وجوب الخلافة:**

من بعد وفاة رسول الله ﷺ اجتمع المسلمون فى سقيفة بنى ساعدة ليبحثوا من يكون إليه الأمر بعد الرسول ﷺ، وتسامع الناس أن الأنصار يرون الأمر فيهم، وسارع أبو بكر وعمر رضى الله عنهما لحسم الخلاف، وتأخر دفن الجثمان الطاهر - وهو عليهم جد عزيز - حتى انتهوا من أمر الخلافة، وكان اجتماع المسلمين، وفى مقدمتهم كبار الصحابة، على ذلك النحو، إجماعا على وجوب الخلافة.

ولفقه أدركه السلف الصالح سموا الخلافة «الإمامة العظمى» بالقياس إلى الإمامة الصغرى - إمامة الصلاة - ليتأكد بذلك وجوبها، وليتأكد مكانها بين سائر الواجبات.

وعرفها الفقهاء - من بعد - بأنها خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا، وأضاف البعض فى نهاية العبارة لفظ «به» لتتأكد وظيفتا الخلافة الرئيستان:

- حراسة الدين.
- سياسة الدنيا بهذا الدين.

● **الخلافة تظل المسلمين:**

وظلت خلافة الإسلام تظل المسلمين أكثر من ألف عام، تقيم شرع الله وهو أول الواجبات وأعلى الضرورات، وتجمع شمل المسلمين وهو كذلك من الواجبات والضرورات.

صحيح أنه أصابها فى فترات عديدة ضعف أو انحراف، لكنها بقيت رمزا للأمرين:

- إقامة شرع الله.
- جمع شمل المسلمين.

وبقى إصلاحها بين الحين والحين رهينا بصحوة المسلمين، وبأن يقيض الله من يلى أمرها ممن يقدرها حق قدرها، وبقاء الشيء ولو ضعيفا على احتمال قوته وصلاحه خير بلا شك من القضاء عليه، ولم يقل أحد إن حل مشكلة المرض تكون بقتل المريض والقضاء عليه، وما ينبغى لعاقل أن يقول ذلك وما يستطيع.

● **مع خلافة آل عثمان:**

لكن لما آلت الخلافة إلى آل عثمان وحملوها أكثر من خمسمائة عام، وطرقوا بها أبواب فيينا وأرهبوا أعداء الله فى شرق وغرب، تجمع الأعداء وتآمروا وراحوا يبحثون فى أوربا «المسألة الشرقية» وكانت تعنى - حينئذ - كيف يوقفون المد الإسلامى عن اجتياح ما بقى من أوربا.

فلما وهنت قوة الدولة العثمانية طمع الأعداء فانتقلوا فى بحث «المسألة الشرقية» إلى كيف يقضون على «الرجل المريض».

ومر حادث إسقاط الخلافة الإسلامية بغير رد الفعل الواجب.

صحيح أن إخواننا مسلمى الهند حملوا وهم فقراء ما يملكون، إلى من قارف جريمة الإسقاط، وصحيح أن إخواننا فى مصر تنادوا بقيام الخلافة ولو فى غير تركيا، وأصدر العلماء بيانا بذلك، ولكنهم حين اجتمعوا لبحث الأمر انفض المؤتمر بغير قرار، ورغم رغبة الملك القائم فى الوصول إلى قرار ظنا منه أنه سيكون هو الخليفة، لكن الاحتلال البريطانى الذى كان قائماً فى مصر متحكما فيها هو الذى حال دون صدور هذا القرار.

ولم يعد من رد فعل بعد ذلك غير قصائد الرثاء وما هطل بعد ذلك من دموع المسلمين[1].

● **أثر غيبة الخلافة:**

ولسنا فى مقام تحليل أسباب السقوط، فلذلك مكانه[2]، ولكننا فى مقام بيان أثر غيبة الخلافة فى واقعنا السياسى.

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك: الاتجاهات الوطنية فى أدبنا المعاصر للدكتور محمد حسين، ونظام الخلافة فى الفكر الإسلامى للدكتور مصطفى حلمى.

(٢) كان فى مقدمة أسباب السقوط ما بذله يهود الدونمة (٥٠ ألف يهودى لهم خمس محافل ظاهر الاتحاد والترقى) وقد ساهموا فى: =

لقد غابت – **أولا** – الدولة الحاكمة بشرع الله.

وغابت – **ثانياً** – الدولة التى تظل المسلمين وتجمع شملهم فى وحدة حقة قائمة على وحدة العقيدة.

وغابت – **ثالثًا** – الدولة التى كانت ترهب عدو الله وعدوهم وكانت القوة العالمية تحسب لها ألف حساب حتى بعد ضعفها ومرضها.

وغابت – أخيراً – الدولة التى عرف اليهود وتأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى فلسطين إلا بتحطيمها، وهو ما صرح به «سرجى نيلوس» العالم الروسى الذى نشر البروتوكولات. صرح به قبل قيامها بحوالى خمسين سنة حين قال: «إن الأفعى اليهودية لابد أن تمر بالآستانة فى طريقها إلى فلسطين».

● **ومن بعد سقوط الخلافة:**

توزعت أسلاب الرجل المريض بين دول الاستعمار، فأخذت فرنسا سوريا ولبنان، وأخذت بريطانيا فلسطين والعراق، وتم كل ذلك ليجرى التمهيد لقيام دولة إسرائيل على ما سنفصل فى مكان آخر.

ولما ارتأت الصهيونية والصليبية أن يرحل الاحتلال الأجنبى، أحلت محله من يقوم بنفس الدور، بغير خسائر للأجنبى، وبأداء أفضل من الأجنبى وهو ما نعالجه بإذن الله تحت عنوان «الاستعمار الجديد».

* * *

= (أ) إسقاط السلطان عبدالحميد.

(ب) أوقعوا الصراع والخصومة بين عنصرى الأمة الأتراك والعرب.

(جـ) نشروا مبادئ العلمانية أى فصل الدين عن الدولة (راجع المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية للأستاذ أنور الجندى).

ثم ما بذله ت. أ. لورنس، الذي صرح: «أن أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها». ولورنس ابن غير شرعى لتوماس تشابمان، ومع ذلك فقد وصل إلى حد الصداقة مع شريف مكة، وسارت تحت قيادته الجيوش لحرب الأتراك فى سوريا وهو يصرح بذلك فى تقريره (سياسات مكة) بقوله: «لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنف لقضينا على خطر الإسلام إلى الأبد ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم».

٢ - الاستعمار الجديد

● **توطئة:**

- ما كان الاستعمار القديم إلا حلقة من حلقات الاضطهاد الصهيونى الصليبى للعالم الإسلامى قصدا إلى إذلاله وتنفيذ مخططه لتحطيم عقيدته وقيمه.. وأخيراً سلب خيراته.

وما كان بث التغريب وإشاعة التقاليد والثقافة الغربيين إلا لتحطيم عقيدة الإسلام وإبعاد مثله وقيمه وتقاليده.

وهو ما صرح به قائد الحملة الفرنسية فى طريقها إلى لبنان حين سأله الصحفيون عن بارجة المومسات التي كانت تسير مع سائر البوارج الحربية، فقال لهم: إن أثر البوارج قد يزول، أما أثر هذه فلن يزول.

- لكن الاستعمار القديم كان يجد المكافحة من أبناء البلاد حين نزوله وطوال مدة وجوده، وكان وجود البزة الصفراء الأجنبية مثيرا لكل أنواع الحمية فى عروق الشباب، إن لم يكن حمية الإسلام فحمية الوطنية والشرف والدفاع عن العرض، ومن ثم فإن الاستعمار القديم من حيث لا يريد -كان يستثير المقاومة ويجعلها فى حالة استعداد مستمر إن لم تصل إلى درجة الاستعداد الكامل، ولذا كانت خسائره فى المال والأرواح كثيرة.

ومن ناحية أخرى فقد كان يلقى المقاومة «النفسية» إزاء ما يريد من تحطيم عقيدة الإسلام، الأمر الذى حاولته الحروب الصليبية من قبله وفشلت فيه.

- فلو أمكن تلافى خسائر المال والأرواح، وتلافى المقاومة النفسية لأوامره لكان ذلك أفضل.

واهتدى الاستعمار الصليبى والصهيونى إلى أن «النخبة الوطنية أقدر وأسرع فى التغيير المطلوب»، وتحول الاستعمار القديم إلى أسلوب جديد هو غزو الشعوب من الداخل عن طريق طائفة من خونة أهل البلاد.

ومن ثم جرى الإعداد لذلك بأكثر من سبيل:

١ - صناعة الزعيم:

وهى صناعة ابتدعها الغرب الصليبى، ليمتص روح المقاومة لدى الشعوب

الإسلامية وليوفر على نفسه خسائر الأرواح والأموال، وليصل إلى تحقيق غرضه بأيسر طريق وأفضل وسيلة دون خسارة عليه فى الأرواح وبأقل قدر من الأموال يشترى بها عشاق الزعامات.

إن ما كان الغرب الصليبى يضحى من أجله بأرواح أبنائه وأموالهم ويلقى المقاومة من جموع الشعوب إما دينيا أو وطنيا، راح ينفذ على يد الزعيم المصنوع بغير هذا ولا ذاك، بل على العكس بترحيب جمع الشعوب المخدوعة فى زعيمها المصنوع.

وكانت أول تجربة لصناعة زعيم فى المنطقة تجربة مصطفى كمال أتاتورك حين جرى التخطيط لانسحاب الجيوش المحتلة لتركيا أمام جنوده، فبدا مصطفى كمال أنه القائد المظفر، ولم يستح أن يطلب لنفسه من البرلمان لقب «الغازى»، ولم تضن عليه الجموع أن تقول: «يا خالد الترك جدد خالد العرب»، ونجحت تجربة مصطفى كمال فى أداء مهمة عجزت جيوش أوربا كلها عن أدائها، وهى تجربة إسقاط الخلافة الإسلامية بما ترتب عليها من آثار سياسية خطيرة لا نزال نلمسها حتى اليوم بعد نصف قرن من الخيانة.

وأخرجت من بعد مصطفى كمال طبعات جديدة.

أخرجت بعد التحسين الذى أشار إليه بعض كتابهم[1].

وفى ظل طبعتين جديدتين من مصطفى كمال أتاتورك جرى التمكين لدولة اليهود فى فلسطين وجرى توسيعها أضعاف حجمها.

ثم جرى ما كانت تسعى إليه منذ قرن من الزمان – الحصول على شرعية بوجودها من أصحاب الحق نفسه[2].

وصارت صناعة الزعيم اختراعًا أمريكيًّا اشتهرت به فى لعبة الأمم

---

(١) من بينهم الكاتب الأمريكى مورو بيرجر فى كتابه: «العالم العربى اليوم».

(٢) يقول ما يلز كوبلاند: «إن الهدف الرئيسى من دعمنا (.....) هو رغبتنا فى توفير زعيم عربى رئيس يتمتع بنفوذ قوى على شعبه، وعلى بقية العرب، له من القوة ما يمكنه أن يتخذ ما يشاء من القرارات الخطيرة وغير المقبولة من الغوغاء مثل عقد صلح مع إسرائيل» (لعبة الأمم ص ٥٩، وراجع ص ٦٣ – ٦٥ كذلك).

والشعوب، قد يصاحبه تأييد عسكرى انقلابى، أو تأييد حزبى أو شعبى حسب الظروف. وإن توزعت الأدوار ما بين مؤيد ومعارض.

وقلدها فيها الاتحاد السوفييتى كذلك.

وجرى التنسيق بين القوتين زمن الوفاق الذى نجم بعد أن أوشك الصدام أن يقع فى أزمة كوبا سنة ١٩٦٢.

٢ - صناعة الانقلابات:

وهى صناعة ابتدعتها فى صورتها الحالية الولايات المتحدة الأمريكية منذ الخمسينيات وقد تلتقى بها صناعة الزعيم، وقد تكتفى بزعيم واحد أو زعيمين تصنعهما ثم تصنع من حولهما انقلابات مؤيدة ومعارضة تتنوع بينها الأدوار، وبالانقلابات العسكرية تصير القوة العسكرية المحلية قوة مساندة للوضع الجديد، وبذلك تحل البزة الصفراء المحلية محل البزة الصفراء الأجنبية، وحماية لنفس الغرض مع توفير خسائر المال والأرواح، وتجنب المقاومة أو المعارضة، وسحقها إن وجدت بغير خسائر فى جانب العدو المستفيد.

وللانقلاب العسكرى ميزة أخرى...

أنه يأتى بأناس مجهولى النسب، ويصعب على الناس تتبع هوياتهم وتتبع أنسابهم، ومن ثم فلا بأس أن يجلس على رأس شعب مسلم من له نسب باليهود أو مصاهرة بالنصارى، أو يجمع بين الصنفين ليحقق الوحدة الوطنية بين الأديان الثلاثة[١]، ويجرى الاتفاق على تلك الصفقات السياسية وراء خطوط الهدنة اليهودية أو فى العواصم الأوربية، أو فى أوكار الماسونية، والشعب المسلم يغط فى نوم عميق.

على أنه دائماً مع هذه الصفقات، فإن الطرف الأقوى يكون على استعداد

---

(١) راجع مورو بيرجر «العالم العربى اليوم» صفحات: ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤٨ وما يلز كوبلاند - لعبة الأمم ص ٤٩، ٥٨.

ومقدمة كتاب «الديبلوماسية والمكيافيلية فى العلاقات العربية الأمريكية» - دكتور محمد صادق، وهو اسم مستعار لكاتب مسلم اضطر لإخفاء اسمه أبان محنة الإسلام الكبرى فى مصر.

دائمًا للتضحية بالطرف الضعيف، رغم ما قد يحاط به من مظاهر القوة والأبهة والسطان، كما أنه فى كل الأحوال يصنع البديل إذا تمت التضحية بالعميل أو هلك بأى سبب آخر من الأسباب وقد يكون البديل شخصا وقد يكون نظامًا مغايرًا يحل محل النظام القديم ليضعف الربط بين القديم والجديد وليستمر الخداع مدة أطول حتى يكشف الجديد.

وفى الحقيقة أن مثل هذه الصفقات وان بدت بين الطرفين، إلا أنها أشبه بعقود الإذعان إذ أن من يرضى لنفسه العمالة ضد دينه أو وطنه لا يستطيع بعد ذلك أن يرفع رأسه ولا أن يقف من الطرف الآخر موقف الند للند، بل إن موقفه دائمًا موقف الإذعان والخذلان.

٣ -صناعة وتجارة الشعارات:

والشعارات هى الأخرى تصنع..

ولقد بدأ ذلك منذ الثورة الفرنسية التى رفعت شعار: «الحرية والإخاء والمساواة».

وظهر فيما بعد أن الحرية كانت لليهود الذين كانوا يمنعون كثيراً من الحقوق، وأن الإخاء كذلك لليهود الذين كانوا فى درجة دنيا دون درجة المواطنين، والمساواة كذلك لليهود الذين كانت الفوارق بينهم وبين النصارى كبيرة وعديدة.

وتلتها ثورات كثيرة ترفع الشعارات.

كما تلتها انقلابات عسكرية كذلك ترفع الشعارات.

- وللشعارات عند صانعيها فائدة مزدوجة.

إنها أولاً تشغل الشعوب الساذجة الجوعى إلى المثل، العطشى إلى ما يحقق وجودها ويجعل الأمر بيدها.

وأنها ثانيًا تبعد الشعوب العقائدية (مثل الشعوب الإسلامية) عن أن ترجع إلى إسلامها فتصبح - مرة أخرى - قوة مهددة للصليبية وللصهيونية.

وهكذا أتيح للثورات الشعبية، والانقلابات العسكرية، أن ينحرف بها

زعماؤها عن خط الإسلام، وأن يرفعوا من الشعارات ما يتاجرون به وما يبعدون به الشعوب عن الإسلام، وأهم هذه الشعارات - حديثًا - شعار القومية والاشتراكية.

بيد أن الأمر لا يمنع من رفع شعار إسلامى ما دام سيظل قاصرًا على دائرة الشعارات على أنه فى هذه الحالة يؤدى أكثر من مهمة:

أنه أولاً: يمتص المشاعر والطاقات الإسلامية المتفجرة.

أنه ثانياً: يميعها أو ينحرف بها أو يعيشها على أمل التطبيق الذى لن يكون.

أنه ثالثًا: يكسب التأييد لنفسه، ويحقق فى الوقت نفسه آمال العدو وأغراضه، بشىء من البطء المحسوب الحركة المضمون النتيجة، وفى بلاد تطبق الإسلام تكون الخطوة الوسطى هى نقلها من التطبيق والالتزام، إلى دائرة الشعار بغير تطبيق والإعلان والدعاية بغير الفحوى والمضمون، ليبدلوا نعمة الله كفرا ويحلوا قومهم دار البوار.

٤ - ضرب الحركات الإسلامية:

تفجرت فى العالم الإسلامى - بعد إلغاء الخلافة - حركات إسلامية كثيرة، حملت أسماء عديدة والتقى أكثرها على مفهوم الإسلام الشامل، بل وأشار بعضها إلى وجوب إعادة الخلافة وإن تحفظت بأن دون ذلك خطوات وخطوات.

وما أن تعاظم دور هذه الجماعات والحركات[١]، حتى بدأ ضربها من بعض الحكام، وكشفت وثائق نشرت أو عرضت أمام القضاء عن وقوف بعض الدول الغربية ثم بعض الدول الشرقية وراء ضرب هذه الجماعات والحركات[٢].

---

(١) راجع دراسة د. ميتشيل. فى رسالته للدكتوراه عن الإخوان المسلمين (معرب) وكان يعمل مستشاراً فى السفارة الأمريكية بالقاهرة، وقد أسندت إليه الوثيقة المشار إليها بنهاية هذه الكلمات، وأصدر تكذيبا لذلك، كما أصدرت السفارة تكذيبا آخر - راجع عدد مجلة الدعوة المصرية التى نشرت بها الوثيقة فى ذلك التاريخ.

(٢) راجع: فى الزنزانة، عندما يحكم الطغاة، شريعة الله حاكمة، أساليب الغزو الفكرى.

ثم كشفت بعض الكتابات أن اليهود أنفسهم وراء ضرب الحركات الإسلامية[1].

وكانت طريقة الضرب هو اصطناع القضايا، والإعلان عنها، وتعبئة أجهزة الإعلام المختلفة بالدعاية ضد الجماعة أو الحركات الإسلامية، ثم محاولة استئصالها عن طريق: الإعدام، والتعذيب، والسجن والتضييق على المسجونين والمعتقلين، وقد بلغت الخسة أن صرحت إحدى الخطط الموضوعة بأن من بين أهدافها: «وهذه المرحلة وإن نفذت بدقة ستؤدى إلى ما يأتى:

١ - بالنسبة للمعتقلين: اهتزاز المثل والأفكار فى عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهات والأمراض فيهم.

٢ -وبالنسبة لنسائهم: سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات يتحررن بغياب عائلهن، وحاجتهن المادية قد تؤدى إلى إنزلاقهن.

لكن الذين كانوا وراء عمليات أو خيانات الضرب، راجعوا حساباتهم، فرأوا أنهم الخاسرون، أن الذين سقطوا على حبال المشانق أو تحت سياط التعذيب لقوا الله شهداء فهم رابحون، وأن الدعوة اشتد عودها، وارتوت جذورها بهذه الدماء الطاهرة فامتدت فروعها وأورقت وأثمرت من كل زوج بهيج.

أما الذين تساقطوا ضعفاء تحت سطوة الإرهاب، فهؤلاء كانوا عبئا على الدعوة تخلصت وتخففت منهم.

- ومن ثم فكروا فى أسلوب جديد يمارسونه الآن:

وهو الفتنة بالخير بعد الفتنة بالشر. الفتنة بالجاه والمال والسلطان والدنيا.

ومحاولة شق الصف الإسلامى وتعميق الخلافات بين اتجاهاته وتغذية ذلك بالمساعدات وبغير المساعدات. ونجحت الخطة الثانية فيما فشلت فيه الخطة الأولى.

---

(١) فى صحيفة «أيدعوت أحرونوت» أن إسرائيل مارست ضرب الحركات الإسلامية خلال الثلاثين عاما الماضية عن طريق أصدقائها فى العالم العربى»، وفى لعبة الأمم لمايلز كوبلاند: «الانقلاب العسكرى فى (....) كان ضرورة لمنع ثورة الشعب التى كانت ستقودها إحدى الجماعات الإسلامية الكبرى».

فتساقط بعض آخر تحت فتنة المال أو الجاه أو السلطان أو غير ذلك من أعراض الحياة الدنيا، وكان بعضهم ممن ثبت فى الفتنة الأولى. لكن سبحان الله مقلب القلوب من ناحية.

والحمد لله من ناحية ثانية.

فإن هؤلاء كذلك كانوا عبئا على الدعوة تخففت منهم وسقوطهم أمام تلك المغريات يعنى انطواءهم على ضعف يسقط عنهم الصلاحية للقيادة بل ويسقط عنهم الصلاحية للدعوة.

ومن ثم كان خيراً.

ويبدو أن الأعداء لم يكتشفوا بعد خسرانهم الجديد، مبهورين بالنجاح المحدود الذى حققوه فيما فشلوا فيه عندما جربوا سلاح الإرهاب.

لكن ذلك لا يعنى أن سلاح الإرهاب أغمد إلى الأبد.

إن وجود السلاح فى يد الإنسان قد يغريه باستعماله دون أن تسبق ذلك الحسابات، وأن وجوده يعطيه شيئاً من الغرور قد يعميه عما قدمنا من حقائق أهمها أنه فى النهاية هو الخاسر.

ومن ثم فلا يستبعد أن يعود الأغبياء إلى استعمال السلاح الذى فشل من قبل - سلاح الإرهاب[1] - ويومئذ يقال لهم:

---

(١) فوجئنا بعد كتابة هذه الكلمات بوثيقة نشرتها جريدة المدينة فى عددها الصادر فى ٣ صفر ١٣٩٩هـ (أول يناير ١٩٧٩م) نقلا عن مجلة الدعوة المصرية (عدد صفر ١٣٩٩هـ) وكان أهم ما جاء فيها:

ونظراً لما لمسنا من أن وسائل القمع والإرهاب التى اتبعت فى عهد (....) قد أدت إلى تعاطف الجماهير المسلمين وإقبال الشباب عليها مما أدى إلى نتائج عكسية. فإننا نقترح الوسائل الآتية كحلول بديلة:

أولاً: الاكتفاء بالقمع الجزئى دون القمع الشامل والاقتصار فيه على الشخصيات القيادية التى لا تصلح معها الوسائل الأخرى المبينة فيما بعد.

ونفضل التخلص من هذه الشخصيات بطرق أخرى تبدو طبيعية.

ولا بأس من الإسراع بالتخلص من الشخصيات الإسلامية الموجودة بالمملكة العربية السعودية نظراً لأن التخلص من أمثال هؤلاء يحقق المراد من القمع الجزئى ويعمل على تدهور الثقة بين (....) وبين الحكومة (.....) مما يحقق أهدافنا فى هذه الفترة. =

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَال... ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

* * *

٣ - البعد عن جوهر النظام الإسلامى السياسى

لا يمكن للقوى المعادية بعد كل ما بذلت أن تسمح بقيام النظام الإسلامى

= ثانيًا: بالنسبة للشخصيات القيادية التى لا يتقرر التخلص منها فننصح باتباع ما يلى:

(أ) تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الفارغة المضمون وغيرها من الأعمال التى تستنفد جهدهم، وذلك مع الإغداق عليهم أدبيًا وماديًا وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليا وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

(ب) العمل على إيجاد فرص عمل بعقود مجزية فى البلاد العربية البترولية الأمر الذى يؤدى إلى بعدهم عن النشاط الإسلامى.

(جـ) العمل على جذب ذوى الميول التجارية والاقتصادية إلى المساهمة فى المشروعات المصرية الإسرائيلية المزمع إقامتها بمصر بعد الصلح.

(د) بالنسبة للعناصر الفعالة فى أوربا وأمريكا نقترح ما يلى: تفريغ طاقاتهم فى بذل الجهود مع غير المسلمين ثم إفسادها بواسطة مؤسساتنا.

(٢) استنفاد جهدهم فى طبع وإصدار الكتب الإسلامية مع إحباط نتائجها.

(٣) بث بذور الشك والشقاق بين قيادتهم لينشغلوا عن النشاط المثمر.

ثالثًا: بالنسبة للشباب نركز على ما يلى:

(أ) محاولة تفريغ طاقاتهم المنعقدة فى الطقوس التعبدية التى تقوم عليها قيادات كهنوتية متجاوبة مع السياسات المرسومة.

(ب) تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها فى أذهانهم.

(جـ) تشجيع الهجوم على السنة والتشكيك فيها وفى المصادر الإسلامية الأخرى.

(د) تفتيت الجماعات الإسلامية والجمعيات المختلفة وبث التنازع داخلها وفيما بينها.

(هـ) مواجهة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية خاصة التزام الفتيات بالزى الإسلامى عن طريق النشاط الإعلامى والثقافى المتجاوب.

(و) استمرار المؤسسات التعليمية فى مختلف مراحلها فى حصار الجماعات الإسلامية والتضييق عليها والتقليل من نشاطها.

وللأسف فقد صدق الله سبحانه هذه الكلمات حين استخدم سلاح الإرهاب مرة أخرى فى بلد إسلامى عزيز فى خريف ١٤٠١هـ (١٩٨١م) وتم الزج بكبار الدعاة إلى السجون وقد تبع ذلك حادث مروع هو قتل رئيس الدولة وما أعقب ذلك من أحداث.

السياسى لا داخليًّا ولا خارجيًّا، لأنها إن سمحت كانت كمن نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، أو كانت كمن بنى لنفسه بيتا ثم راح يهدمه بغير سبب وبغير بديل، ولا يتصور ذلك عن عاقل، ولا ينبغى أن نهون من ذكاء عدونا.

قد يقال: أن ما يهم العدو هو ألا يقوم نظام إسلامى يتخذ المنهج الإسلامى فى سياسته الخارجية، أما فى سياسته الداخلية فلا شىء فى ذلك، ولا تتدخل القوى الدولية فيه لأن ذلك تدخل فى الشؤون الداخلية لدولة أخرى لا يجوز دوليًّا. وكل هذا صحيح، إذا لم يكن الأمر متعلقا بالإسلام.

فيوم اختارت -أو هكذا بدت - ألبانيا النظام الشيوعى: لم تتدخل القوى الغربية، وكذلك يوم اختارت -أو هكذا بدت -كوبا لنفسها النظام الشيوعى، لكن قد يحدث كذلك تدخل تغمض عنه القوى الأخرى من باب تجنب الصدام المباشر كما حدث حين سحقت روسيا روح المقاومة فى بولندا مقابل سكوت الشيوعية على عملية التأديب التى قامت بها فى مصر إنجلترا وفرنسا وإسرائيل سنة ١٩٥٦. ثم ما حدث بعد ذلك فى تشيكوسلوفاكيا. أما بالنسبة للمنطقة الإسلامية: فإن بين جميع القوى المعادية توافقا بل اتفاقا على ألا تقوم للإسلام دولة، سواء طبقت الإسلام فى حدودها الداخلية أو جاوزت ذلك لتطبقه كذلك خارج حدودها.

وما كان الغرب الصليبى ومن ورائه الصهيونية - ليضيع جهوده وأمواله وأرواحه التى بذلها ابتداء ليوقف الزحف الإسلامى، ثم ليقضى على دولة الإسلام التى أسماها «الرجل المريض» ثم ليوزع تركة ذلك الرجل المريض، وما كان ليضيع تلك الجهود بالسماح مرة أخرى بقيام دولة الإسلام. لأنها إن قامت داخل حدودها، فإنهم يعلمون أن المارد لن يظل طويلا داخل القمقم، ومن ثم فإنهم يحاربون أى قيام لدولة الإسلام.

ويحرمون ويحاربون أى خطوة تؤدى إلى ذلك، ولو كانت فى صورة تضامن أو جامعة إسلامية أو تطبيق جدى للشريعة الإسلامية، أو جامعة يتعاظم أمرها وتنذر بقيام دولة إسلامية[1].

---

(١) راجع مقالا عن خطوط عريضة للنظام السياسى الإسلامى -مجلة الوعى الإسلامى العدد ١٦٦ - شوال ١٣٩٨هـ (سبتمبر ١٩٧٨م). =

والبعد عن النظام الإسلامى يتخذ صوراً عديدة:

١ -صورة عدم التطبيق للشريعة الإسلامية، أو صورة التطبيق الجزئى لها والصورة الأولى قد يكتفى معها بشعار العلم والإيمان أو غيره من الشعارات الإسلامية، والصورة الثانية قد يكتفى معها بالتطبيق فى مجال الأحوال الشخصية أو فى بعض الحدود التى يجرى فيها التطبيق على الضعيف دون الشريف مع ترك التعليم والإعلام والمجتمع بعيداً عن عقيدة الإسلام وخلقه وسائر تعاليمه وأحكامه.

٢- صورة البعد بالأمة عن أن تكون أمة الإسلام: فى وحدتها ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

أو فى استمساكها ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومن ثم رأينا الفرق والمزق تزعم لنفسها الشرعية وتدعى لنفسها الإسلام.

٣ - صورة البعد بالسلطة عن شرعية الإسلام.

وأهمها رضا المسلمين بها أيا كانت صورة الرضا. وقبلها إقامتها لشريعة الإسلام.

* * *

٤ - دعاة على أبواب جهنم

● **وأوصافهم من خلال أحاديث رسول الله ﷺ:**

(أ) أمراء من جلدتنا ويتكلمون بلساننا:

أخذنا وصفهم (أمراء) من رواية مسلم (أئمة لا يهتدون بهداى)[١] وقد ورد استعمال الأئمة بمعنى الأمراء فى أكثر من موضع فى القرآن[٢].

= وراجع كذلك: المشروعية الإسلامية العليا- مكتبة وهبة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) رسالة دكتوراه للمؤلف.

(١) حديث (دعاة على أبواب جهنم) ورد فى البخارى ومسلم وكتب السنن الأخرى، وقد جمعنا من رواياته هذه الأوصاف.

(٢) راجع الأنبياء: ٧٣، القصص ٥، السجدة ٢٤، القصص: ٤١.

(ب) يدعون إلى جهنم :

- بقيادتهم شعوبهم فى طريق الشيطان .
- تسخير إعلامهم لإضلال الشعوب .
- يبدلون نعمة الله كفراً، ويحلون قومهم دار البوار .

(جـ) لهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس .

أمر ظاهر فى رضاهم بما يقع لأبناء شعوبهم من تعذيب يصل حد الموت ومن شهود بعضهم لهذا التعذيب من خلف ستار[1] .

● **أما ماذا يفعلون . . ؟**

فإنهم أولاً : رضوا التبعة لهذه القوى أو تلك وظنوا أنهم بتبعيتهم يضمنون الكرسى الذى يجلسون عليه وفاتهم أن (أسيادهم) يحبون التغيير ضمانا ألا ينفلت الزمام من أيديهم وأحيانا لحب التغيير نفسه، كما يبدل الإنسان حذاءه ليس لأنه صار (باليا) بل لمجرد التغيير من لون إلى لون أو من شكل إلى شكل .

وإنهم ثانيا : يذلون شعوبهم وعجيب من (الأذلة) أن يذلوا شعوبهم لكنه نوع من التنفيس عما يشعرون به من إذلال . . وتعود على الذى عانوه من (أسيادهم) !

وإنهم ثالثًا : يحطمون القيم كراهية للقيم أولاً . . ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ وظنا أن تحطيمها يجعلون شعوبهم أكثر طواعية !

وإنهم رابعًا : يحاربون الدعوة . . . كراهية لها . . . ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ ، ﴿ **اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ** ﴾ وظنا أن أصحابهم يتأنسونهم على كراسيهم !

وهم لا يدركون أن حربهم للدعوة يوطد أركانها . . ويقوى أساسها ويعمق جذورها فتضرب فى الأرض ما شاء الله لها أن تضرب ويرتفع بفروعها . . ما شاء الله لها أن ترتفع فى السماء، وفى التاريخ دليل والتاريخ الأقرب أكبر شهادة !

---

(١) حكى ذلك من أثق فى صدقه إبان حكم الرئيس الأسبق جمال عبدالناصر، وهى السيدة / زينب الغزالى – رحمها الله – .